# الأسلوبية( المفهوم والنشأة والمجال)

## تمهيد

لم تظهر الأسلوبيّة إلا في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لوصف الأسلوب في مختلف تجلّياته الصوتيّة، والإيقاعيّة، والصرفيّة، والتركيبيّة، والدلاليّة، والبلاغيّة، والتداوليّة؛ مع تبيان مكوّناته الثابتة، واستكشاف سماته النوعيّة، واستجلاء فنّيّاته وجماليّاته المتعدّدة والمتنوعة. وذلك كلّه في علاقة بالمتلقّي، أو المستقبِل من جهة، ومراعاة المقصديّة من جهة ثانية. ومن باب العلم، فقد قامت الأسلوبيّة على أنقاض البلاغة التقليديّة المعياريّة والتعليميّة التي بقيت – لأمد طويل – حبيسة الصور البيانيّة، والمحسّنات البديعيّة، وعلم المعاني.

لقد عرف التراث العربي الظاهرة الأسلوبية، فدرسها ضمن الدرس البلاغي الذي وصفه بعضهم أنه درسا أسلوبيا على وجه الإجمال، لأن الدرس اللغوي- عندهم- كان سابقا على الدرس البلاغي- فمصطلح البلاغة كان يستعمل بمعناه اللغوي؛ أي الفصاحة والإبانة، ويضاف إلى ذلك استخدامه في الممارسة التحليلية( التي قام بها كل من: أبي عبيدة، ابن قتيبة، الباقلاني وغيرهم) للدلالة على الظواهر الأسلوبية ضمن نظام الخطاب- على خلاف التراث اليوناني الذي كان فيه الدرس البلاغي سابقا على الدرس اللغوي( عياشي، 2002، ص: 27- 28).

لقد انطلق العرب في درسهم اللغوي من النّص، فجاءت علومهم في هذا المجال تمثيلا حضاريا له. وكانت نظرتهم للأسلوب انه أثر من آثار النّص، ونتيجة من نتائجه الدالة عليه، فأسسوا بذلك حضارة معرفية يصطلح عليها باسم "حضارة النّص". لكن الدراسات اليونانية ووليدتها الغربية، انطلقت في درسها البلاغي واللغوي من الشخص، فكانت نظرتهم للأسلوب أنه أثر من آثار الشخص ونتيجة من نتائجه، فأسسوا بذلك حضارة معرفية يصطلح عليها باسم "حضارة الشخص"( عياشي، 2002، ص: 28- 29).

لقد وصف جوليان غريماس، وجوزيف كورتيس الأسلوبية بأنها: "مجال بحثي يندرج ضمن التقليد البلاغي،لم تفلح في تنظيم نفسها في علم مستقل"، بينما وسم كل من تزفيتان تودوروف، وأوزوالدديكرو الأسلوبية أنها: "الوريث المباشر جدا للبلاغة."لكننا في المقابل نجد مجموعة من الذين اختاروا السير قدما في درب الأسلوبية قد تهجموا على البلاغة ووصفوها بالعجوز، ومنهم ميكائيل ريفاتير حيث اعتبر البلاغة المعيارية من عراقيل الأسلوبية.والأسلوبية بوصفها منهجا نقديا يصنفها جون ديبوا على أنها:"فرع من فروع علم اللسان"، وهذا ما يؤكده ميشال أريفي بقوله: "الأسلوبية وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات"، وهو إثبات لدور اللسانيات في بلورة مفهوم الأسلوبية.

ترجع بوادر الأسلوبية إلى العالم اللغوي السويسري فرديناند دو سوسير (1857-1913م)، واضع اللسانيات، والذي استطاع التفريق بدقة بين اللسان والكلام بمعادلته

الشهيرة: "اللسان في نظرنا هو اللغة ناقص الكلام"، وأوضح أن اللسان هو: "نتاج اجتماعي لملكة اللغة، فهو مجموعة من الأعراف الضرورية التي يستخدمها المجتمع لمزاولة هذه الملكة عند الأفراد"، وأنه نتيجة لعلميات متواصلة للكلام عبر الزمن، أما الكلام فهو نشاط فردي؛ أي تطبيق صوتي، وتركيبي ومعجمي، واللسان هو الذي ينتجه.ثم أتى تلميذه المختص في السنسكريتية واليونانية الباحث اللساني شارل بالي (1865-1947م)، ليشرح مفاهيم دي سوسير في اللسانيات، ليعكف بعدها على دراسة الأسلوب، فكان هو أول من أرسى قواعد الأسلوبية المعاصرة منذ سنة 1902م.

**1-الأسلوب والأسلوبية**

يعود أصل كلمة"style"(أسلوب) إلى الكلمة اللاتينية(stilus) وتعني الريشة أو القلم أو أداة الكتابة، ثم انتقلت إلى مجال الدراسات الأدبية لتعني طريقة الكتابة، ومنها جاءت (stylistique).

وردت كلمة "أسلوب" في المعاجم العربية، بمعنى: السطر من النخيل وكل طريق ممتد، والأسلوب هو الطريق والمذهب، والجمع أساليب(ابن منظور، 2000، "سلب"،ص225). فعلماء العربية قديما كانوا يستخدمون مصطلح "الأسلوب" بمعنى الطريقة الخاصة في النظم والسمة المميزة لكلام عن كلام آخر وهذا يختلف عن المعنى المستخدم الآن. فالجرجاني يعرف الأسلوب قائلا: ((الضرب من النظم والطريقة فيه)) ( الجرجاني، ص469).

استخدم الأسلوب قديما-منذ عهد أرسطو- للدلالة على القلم والريشة، ثمّ استخدملفنّ النحت والعمارة، ثمّ دخل مجال الدراسات الأدبيّة، حيث صار يعني أي طريق خاصّ لاستعمال اللغة بحيث تكون هذه الطريقة صفة مميّزة للكاتب، أو الخطيب. لكن في العصر الحديث تعددت تعريفات الأسلوب بتعدد الاعتبارات، وهي على النحو الآتي( اللويمي، ص16):

- **باعتبار المرسل أو المخاطِب :**هو التعبير الكاشف لنمط التفكير عند صاحبه، ولذلك قالوا الأسلوب هو الرجل.
- **باعتبار المتلقّي والمخاطب :**هو سمات النصّ التي تترك أثرها على المتلقّي أيًّا كان هذا الأثر.
- **باعتبار الخطاب :**هو مجموعة الظواهر اللغويّة المختارة الموظفة المشكلة عدولاً، وما يتّصل به من إيحاءات ودلالات.

أمّا عن الأسلوبيّة في العصر الحديث، فهي كما يقول بالي: ((علم يعنى بدراسة وقائع التعبير في اللغة المشحونة بالعاطفة المعبّرة عن الحساسيّة( اللويمي، ص42). ويقول عبد السلام المسديّ عن مصطلح الأسلوبية أنّه مركب من جذر "أسلوب" ولاحقته "ـته"

فالأسلوب ذو مدلول إنسانيّ ذاتيّ، واللاحقة تختصّ بالبعد العلمانيّ العقليّ الموضوعيّ( المسدي، 1397هـ).

جعل "بيار جيرو" الأسلوبية(( تتحدد بكونها البعد اللساني لظاهرة الأسلوب طالما ان جوهر الأثر الأدبي لا يمكن النفاذ إليه إلاّ عبر صياغاته الإبلاغية، أي البحث عن نوعية العلاقة الجامعة بين التعبير ومدلول المحتوى))( المسدي، ص35).

وهناك تعريف آخر يجمع هذه التعريفات السابقة الذكر في تعريف واحد ألا وهو ((الأسلوبية هي جملة الصيغ اللغويّة التي تعمل على إثراء القول وتكثيف الخطاب، وما يستتبع ذلك من بسط لذات المتكلّم، وبيان التأثير على السامع)). ومن هنا يتّضح لنا الفرق بين الأسلوب والأسلوبيّة (علم الأسلوب) وهي كما يلي( اللويمي، ص42 وعدنان النحوي، ص156):

- الأسلوب وصف للكلام، أمّا الأسلوبيّة فإنّها علم له أسّس وقواعد ومجال.
- الأسلوب إنزال للقيمة التأثريّة منزلة خاصّة في السياق، أم الأسلوبيّة فهي الكشف عن هذه القيمة التأثّريّة من ناحية جماليّة، ونفسيّة وعاطفيّة.
- الأسلوب هو التعبير اللسانيّ والأسلوبيّة دراسة التعبير اللسانيّ.

أما بالنسبة لمصطلح "علم الأسلوب" فهناك من جعله مرادفا للأسلوبيّة، ومنهم من فرّق بينهماباعتبارأنّ "علم الأسلوب" يقف عند تحليل النصّ بناء على مستويات التحليل وصولاً إلى علم بأساليبه.أمّا "الأسلوبيّة" فهي تتجاوز النصّ المحلّل المعلومة أساليبه إلى نقد تلك الأساليب بناء على منهج من مناهج النقد المعروفة( يوسف أبو العدوس، ص37).

تهدف الأسلوبية لأن تكون علما تحليليا تجريديا يشد إدراك الموضوعية في حدود عقلانية، كما تبحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب ومن سائر أصناف الفنون الإنسانية، إذ تعنى بدراسة الخصائص اللغوية التي تنقل الكلام من مجرد وسيلة إبلاغ عادي إلى أداء تأثيري فني( المسدي، 1983، ص15). فالأسلوبية تبحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب( المسدي، ص34). ويذهب جاكبسون إلى أن الأسلوبية بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب.